بحتة ، أمنوا بالاستقلال وبلبنان وصاروا من اول عماله ٠

ولما بزغ العهد الجديد خاف بعض النصارى أن يكون العهد مجحفا بهم،وخافوا ان يزول الانتداب فيكونوا عرضة لامر ما من الداخل » ٠

★ ★ ★

لسنا هنا طبعا أمام محاكمة تاريخية للميثاق الوطني ، فهذه المحاكمة لا تكون موضوعية وعادلة الا اذا شملت دراسة كل الخلفيات التاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تمت في اطارها وترعرعت التشكيلات الطائفية ـ السياسية للمجتمع اللبناني ،بما في ذلك دراسة المرحلة الاخيرة في عمر الامبراطورية العثمانية والحركة المعاصرة للقومية العربية ، ومشكلات الاقليات الدينية في الوطن العربي ، والدور اللبناني في النهضة العربية القومية الحديثة فكرا وسياسة ، وكيف نما هذا الدور ، ثم كيف غاضت مياهه في مستنقع الطائفية بعد ان كان قد انطلق بصحة وعافية متجاوزا الفتنة الطائفية الكبرى في القرن التاسع عشر وما نتج عنها من صيغ سياسية واجتماعية في عهد المتصرفية ٠
دراسة كل هذا اذن ضرورية ، مع دراسة

الظروف الدولية التي كانت سائدة قبل واثناء الحرب العالمية الثانية ، حتى تكون المحاكمة التاريخية لفلسفة الميثاق الوطني عادلة : هل كان الاستقلال اللبناني ممكنا بطرق اخرى وسط هذه الفسيفساء الطائفية وما يحيط به من موازين قوى ؟

تلك مسألة تاريخية ، ما يهمنا الان هو المسألة السياسية الراهنة ، حيث ما زالت الصيغة الطائفية للميثاق الوطني مطروحة كحل لاعادة تجميع اجزاء الوطن اللبناني الذي وضحت معالم بعثرته بعد سنة ونصف من الاقتتال ٠

ان اثنين من ابطال الميثاق الوطني ،ومن الذين سجنوا دفاعا عن رايته (كميل شمعون وبيار الجميل) يقودان اليوم معركة فك الشراكة الوطنية بالدم والحديد والنار ، استمرارا لحربهما عليها منذ عام ١٩٥٨ ٠ والقائد الثالث لهذا التيار ـ سليمان فرنجية ـ ليس بعيدا عن اجواء الميثاق الوطني ، فشقيقه حميد هو الذي قاد مفاوضات الجلاء عام ١٩٤٦ ، كل ذلك لان الانتماء للعروبة لم يعد تعبيرا عن اللغة الرسمية للدولة ، بل تجاوزه الى النضال من اجل استعادة الامة العربية مكانتها الحضارية وسط الصراعات الدولية ، ولان النضال من اجل فلسطين لم يعد يكتفي بخطبة فوق منبر الامم المتحدة او باغاثة مجموعة من اللاجئين باكياس من الطحين ، بل اصبح دخولا في صراعات ارادات تاريخية فوق ارض المنطقة ، تفترض اتخاذ مواقف والدخول في تحديات وتغييرا عميقا في نمط التربية والحياة ٠

ان خط تطور ونمو هذه الزعامات « الميثاقية » في الشارع الماروني بالذات، يعتبر من العناصر السلبية اذا وضعنا امامنا الان ليس فقط امكانية بناء لبنان ـ الوطن،بل حتى امكانية اعادة تركيب لبنان ـ الكيان الطائفي المتوازن ٠٠٠ غير ان هذا العنصر السلبي تقابله عناصر ايجابية اخرى منها ان الشارع المسيحي لم يعد حكرا على هذا النوع من لزعامات ،فهناك فئات عريضة كسرت طوقها الطائفي ودخلت في اطار الانتماء السياسي المباشر الى الوطن ، وانحسار موجة العنف الحالية سيكشف عن هذه الفئة بحجم اكبر بكثير مما يتصوره البعض ٠

اما العنصر الايجابي الاخر فهو ان الزعامات الطائفية في الشارع الاسلامي ـ لوطني قد دخلت في مرحلة التلاشي